فأمّا أبو زيد فلم يستطع الاستواء ولا أطاق العذاب، فصعق من حينه، فقال تعالى: ردّوا عليّ حبيبي، فإنّه لا صبر له عنيّ، فحُجب بالشوق والمخاطبة، وبقي الكفّار، فنزلوا من العرش إلى الكرسي، فبدت لهم القدمان، فنزلوا عليهما في الثلث الباقي من ليلة هذه النشأة الجسميّة إلى سماء الدنيا النفسي، فخاطبوا أهل الثقل الذين لا يقدرون على العروج: هل من داع فيستجاب له؟ هل من تائب فيتاب عليه؟ هل من مستغفر فيغفر له؟ حتّى ينصدع الفجر، فإذا انصدع ظهر الروح العقلي النوري، فرجعوا من حيث جاءوا. قال (صلى ا عليه وآله): من كان مواصلاً فليواصل حتّى السحر، فذلك أوان (بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ) فكلّ عبد لم يحذر مكر ا فهو مخدوع[208]. وهكذا يذهب في هواجسه ويخبط في تشويه آيات الذكر الحكيم من غير مبالاة، انظر كيف جعل القدح مدحاً، والذمّ ثناءً، وقلب ظهر المجنّ وهو يحسب أنّه يُحسن صنعاً!. وهكذا يرى من فرعون أنّه آمن عند الغرق، فمضى طاهراً مطهّراً ليس فيه شيء من الخبث! قال في الفصّ الموسوي: إنّ امرأة فرعون ـ وكانت مُنطَقةً بالنطق الالهي ـ قالت لفرعون في حقّ موسى: إنّه (قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ)[209] فقرّة عينها بالكمال ـ حيث تكلّم الحقّ بلسانها ـ وكان قرّة عين فرعون بالإيمان الذي أعطاه ا له عند الغرق، فقبضه طاهراً مطهّراً ليس فيه شيء من الخبث! لأنّه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئاً من الآثام، والإسلام يجبّ ما قبله، وجعله آيةً على عنايته سبحانه بمن شاء، حتّى لا ييأس أحد من رحمة ا. فلو كان فرعون ممّن ييأس، ما بادر إلى